خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٩

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢٢)

سُئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ السامية وأسوته، فقالت ألم تقرأ القرآن الكريم، فقد شهد الله فيه على أسوته وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، أي أنك يا أيها الرسول تتبوأ أرفع مقام في حسن الأخلاق. والبديهي أنه لا يكون نموذجًا وأسوةً في شيء إلا مَن يبلغ أرفع مقام فيه.

لقد كان النبي ﷺ يتبوأ أرفع مقام في كل من أداء حقوق الله وأداء حقوق العباد، وقد شهد الله على ذلك، ولذلك قال الله لنا إن لكم في هذا الرسول أسوة، فلا تكتفوا بسماع أقواله فقط، بل اعملوا بها أيضا. الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد من العمل، فإذا عملتم بما يأمركم به بلغتم المقام الذي قد بعث هذا الرسول ليبلغ بكم إليه.

فهذا واجب كل مسلم ومؤمن. هناك أناس في الدنيا يعملون بعض الأمور الحسنة أو ينجزون عملاً يُكسبهم الصيت ويجعلهم معروفين بين الناس، ويُعطَون جوائز كبيرة، فبعضهم ينال جائزة نوبل أو غيرها، ولكنهم يُمنحَون هذه الجوائز من قبل حكومة أو لجنةٍ مشكّلة لهذا الغرض فقط، ولم يحدث قط أن يتم ذلك بإجماع الشعب كله. إنما الجائزة الحقيقية التي نالها النبي ﷺ حيث سماه الناس جميعا الصادق الأمين في شبابه وقبل دعوى نبوته. أعني أنه ﷺ لم يكن بحاجة إلى أية جائزة من قبل الناس، ولكنه قد تبوأ عند الناس مقاما ساميا ما كان لأحد أن يباريه فيه، وقد منحه الشعب كله هذا اللقب.

فهذه هي المكانة السامية التي تبوّأها النبي ﷺ، وقال بنفسه عليكم بسنتي والاقتداء بي في أعمالي، لأن الله تعالى قد أرسلني لإصلاحكم.

لقد قال النبي ﷺ: إنما بُعثتُ لِأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق. وتكميل الأخلاق أمر لا يقوم به إلا الذي يتحلى بتلك الأخلاق الحسنة كلها ويتحلى بتلك الصفات كلها. وكما قلت آنفا، إن الله تعالى بنفسه قد أعلن أن النبي ﷺ أسوة حسنة لنا، فعلينا أن نجعل حياة النبي ﷺ نصب أعيننا بحيث نعمل بكل ما أمر به، لأن كل أوامره كانت طبقًا لأحكام القرآن الكريم، وكانت من عند الله تعالى. فالنبي ﷺ هو النموذج الحقيقي لكل خلق حسن يمكن أن يتحلى به الإنسان أو يجب أنه يتحلى به، أو للصفات الإلهية. لقد ذكر حضرة الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام أيضا في ديباجة تفسير القرآن بعض الأمور حول أخلاق النبي ﷺ وسيرته، وهي مذكورة أيضا في كتب الجماعة عن سيرة النبي ﷺ، وسوف أبين بعضها باختصار اليوم، وسوف أتناولها بالتفصيل حين تسنح لي الفرصة في المستقبل.

وأول هذه الأمور هو حق الله، أي حق عبادة الله. كيف كانت أسوة النبي ﷺ في ذلك؟ نرى أن حياته ﷺ كلها كان يستولي عليها طابَعُ عشق الله تعالى. لقد أُلقيتْ على عاتقه مسؤوليات جسام كتنفيذ الشريعة الجديدة وتربية القوم، وكما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لقد حوّل الجاهلين الهمج أناسا، ثم جعلهم أناسا متعلمين، ثم أناسا ربانيين. كانت مهمة عظيمة بلا شك، ومع ذلك ما نسي قطُّ حقَّ الله، أي حق عبادة الله. وهذا أمر عظيم وهام جدا. لقد واجه الصعوبات في هذا السبيل، واضطر للخروج للحروب، وتعرض لهجمات الأعداء أيضا، ومع ذلك لم يفرّط في أداء حق عبادة الله قط.

فهذه هي الأسوة الموجودة بين أيدينا، والتي يجب أن نضعها في الحسبان في كل حال. إذا جعلنا الله تعالى نصب أعيننا دوما فسوف تزول مشاكلنا المختلفة تلقائيا وباستمرار. يقول الناس إننا نعاني كذا وكذا من المشاكل والصعوبات، وقد دعونا لحلّها كثيرا. المشكلة أن الناس لا يؤدّون حق الله، فيكون مصيرهم الحرمان. مع أن الله تعالى يقول لهم: عليكم أن تؤدوا حقي أيضا.

ماذا كان معيار عبادات النبي ﷺ؟ كان ﷺ يقوم لعبادة الله بعد منتصف الليل، وقد شهد الله على ذلك أيضا. قالت عائشة رضي الله عنها ذات ليلة قام النبي ﷺ للعبادة، فقلت يا رسول الله إنك مقرب إلى الله تعالى، فلماذا تشقّ على نفسك ولماذا تقضي معظم الليل في عبادة الله باكيا مبتهلا؟ فقال النبي ﷺ يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا. أي لا شك أنني مقرب إلى الله تعالى وهذا فضل الله عليّ، أفليس من واجبي أن أشكر الله على ذلك بقدر ما أستطيع، لأن الشكر لا يكون إلا على المنة والإحسان.

انظروا إلى أسوته هذه. لقد منّ الله على النبي ﷺ بفضله العظيم إذ جعله آخر النبيين المشرعين، وأكمل عليه آخر كتبه، وأتم عليه وطر شريعته، فقال ﷺ: ألا أشكر الله على منته هذه؟ الحق أن الله تعالى قد منَّ بفضله الكثير على كل واحد منا بقدر وسعه وحالته، وإن واجب الشكر يفرض علينا أن نرفع مستوى عباداتنا. يسأل الناس، ويأتيني الشباب أيضا ويسألون كيف نعبد الله تعالى؟ وهل الله بحاجة إلى عباداتنا؟ ويوجه هؤلاء الأولاد مثل هذه الأسئلة متأثرين بعالَمِ اليوم. وجواب ذلك أن الله تعالى ليس بحاجة إلى

عباداتكم، ولكن أليس من مقتضى ما من الله به عليكم من نعم وأفضال مادية وروحانية أن تشكروه عليها، وتكونوا من عباده الشاكرين؟

نجد في سيرة الرسول ﷺ واقعة تبين لنا كيف كانت الدموع تسيل من عينيه لدى سماع كلام الله تعالى، خاصة عندما كان يسمع الآيات القرآنية التي تنبهه إلى واجباته. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ ذات يوم اقْرَأْ عَلَيَّ من القرآن الكريم. فقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ نَعَمْ، فإني أحب أن أسمعه من غيري. فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، (أي كيف يكون حال الناس حين نأتي بنبي كل قوم ونجعله أمامهم ونحاسبهم، ونقيمك أمام قومك لنحاسبهم)، فقَالَ ﷺ: حَسْبُكَ الْآنَ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ بالدموع.

لهذه الدرجة استولت خشية الله على النبي ﷺ. لقد صار قلقًا على أمته وخاف أن ترتكب أمته ما يثير سخط الله، فيضطر للشهادة ضدهم. ومن المفاهيم الكثيرة التي تنطوي عليها هذه الواقعة أن من واجبنا أن نخاف أن يشهد النبي ﷺ ضدنا، ولا يصدر منا ما يكشف ذنوبنا فنستوجب عقاب الله تعالى.

فالموقف خطير جدا، لذا يجب علينا أن نؤدي حق عباداتنا ونحبّ الله حبا كما أوصانا النبي ﷺ، وكما أمرنا الله به في القرآن الكريم. خذوا مثلا المداومة على الصلاة، فقد كان ﷺ شديد الحرص على ذلك حتى ورد في التاريخ أنه في أيام مرضه الشديد في آخر حياته، حين يسمح للمرء أن يصلي مستلقيا أيضا، خرج ﷺ إلى المسجد مستندا إلى رجُلين. ذات يوم لم يستطع النبي ﷺ أن يأتي المسجد لشدة مرضه، فأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، ولكنه بعد ذلك شعر تحسنا فلم يلبث أن خرج إلى المسجد مستندا على رجُلين. تقول عائشة رضي الله عنها لقد خرج وهو يجر رِجليه على الأرض. ذلك لأن أهمية الصلاة جماعةً كانت نصب عينيه، وأراد أن يلفت إلى ذلك نظر أمته، فتجشّمَ المعاناة حتى وصل إلى المسجد وهو يجرّ رجليه غير مكترث لمرضه الشديد.

هكذا كان حبه لله تعالى، وهكذا كان يربي القوم بهذا الشأن. فأولاً نبههم إلى المواظبة على الصلوات، وثانيا بين لهم عظمة الله ومقامه العالي.

كان من عادة العرب التصفيق لتنبيه الآخرين إلى أمر ما، وكانت هذه العادة شائعة جدا عندئذ، فقضى عليها الرسول ﷺ ونبههم أنه يجب ذكر الله في مثل هذه المواقف بدلاً من التصفيق. فقد ورد أن النبي ﷺ كان ذات مرة في أمرٍ شغله، فحانت الصلاة، فقال مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. ثُمَّ فرغ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مما كان فيه ومشى إلى المسجد فورا، حتى إذا أتى المسجد وجد أبا بكر يصلي بالنَّاس، فَلما علم المصلون أن النبي ﷺ قد جاء جَعَلُوا يُصَفِّقُونَ بشدة، وذلك ليعبروا عن فرحتهم الشديدة بقدوم ﷺ، وأيضا لينبهوا أبا بكر رضي الله عنه أن إمامته قد انتهت لأن رسول الله ﷺ قد جاء. فَتأَخَّرَ أبو بكر رضي الله عنه تاركا مكان الإمام لرَسُول

اللّهِ ﷺ. وبعد أن فرغ النبي من الصلاة بالناس قال لأَبِي بَكْرٍ:"مَا حَمَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى مَا صَنَعْتَ، أَلا ثَبَتَّ حِينَ قَدَّمْتُكَ؟ (انظروا الآن إلى روعة إخلاص أبي بكر رضي الله عنه) قَالَ: لا يَنْبَغِي لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَمَامَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ليصلي بالناس.ثُمَّ أَقْبَلَ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: لماذا صفّقتم؟ فالتَّصْفِيقَ ليس مناسبا في أثناء ذكر الله، وإذا رَابَ أحدا شَيْءٌ فِي الصلاة وكان التوجيه إلى ذلك ضروريا فَلْيُسَبِّحْ بدلا من التصفيق ويقول "سبحان الله" فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ. (صحيح البخاري، كتاب الأذان)

كذلك لم يكن النبي ﷺ يحب التكلف حتى في العبادة مع أنه كان يؤكد كثيرا على العبادات إلا أنه نهى عن التكلف فيها فذات مرة دَخَلَ ﷺ البيت فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ. (صحيح البخاري، كتاب الجمعة) إنّ العبادة المتكلّفة على هذا النحو لا تجلب أي نفع. يتبين من ذلك أمران أولا أنّ الصحابيات وأهل بيت النبي ﷺ وأفراد أسرته بسبب تربيته كانوا مولعين بالعبادة، حتى إنهم كانوا يحمّلون أنفسهم المشقّة في أدائها. ومن جهةٍ أخرى، بيّن النبي ﷺ أنه لا حاجة إلى تحميل النفس المشقة، بل ينبغي أداء العبادة براحة ويسر.

لكنني أريد أن أوضح للناس أن هذا لا يعني ما بدأ بعض الناس اليوم يقولونه أحيانًا بأنه لا حاجة لوضع أنفسكم في مشقة، لذلك صلوا بسرعة وأدّوا الفريضة وكأنها عبء يُلقى عن الأعناق، فقد بدأوا يأخذون معنىً معكوسًا تمامًا لهذا الأمر إذ جعلوا المقصود هو التيسير إلى حدّ التفريط. فنرى اليوم بعض المصلين يأتون للعبادة ويصلون في دقائق معدودة وينتهون، أو يصلون في بيوتهم فينتهون في دقائق معدودة.

وكثيرًا ما يسألني الناس هنا: كيف ينبغي أن تُؤدّى الصلاة؟ والجواب: ينبغي أن تُؤدّى الصلاة بإتقان وتأنٍّ. وقد ورد في هذا الشأن حديثٌ عن النبي ﷺ أنّه رأى صحابيًّا يصلّي، فأمره أن يعيد الصلاة ثلاثًا أو أربعًا. جاء ذلك الصحابي مجلس النبي ﷺ متأخرا حين كان النبي ﷺ جالسًا في مجلسه بعد أداء الصلاة، وكانت صلاة الجماعة قد انتهت. كان ذلك الصحابي يصلّي، ثم يأتي النبي ﷺ، فيقول ﷺ له: "ارجع فصلِّ". فيرجع فيصلّي، ثم يعود، فيقول له مرة أخرى: "ارجع فصلِّ". وكرر ذلك ثلاثًا أو أربعًا. فلما قال الصحابي: يا رسول الله، لا أحسن صلاةً غير هذه، فعلِّمني كيف أصلّي. فقال له النبي ﷺ: صلِّ على مهل، واذكر الله، واقرأ التشهّد، وأكثر من الذكر، وصلِّ على النبي، واذكر التوحيد والتحميد، وأدِّ الركوع والسجود على وجههما الصحيح. (صحيح البخاري، كتاب الأذان) فتذكروا هذا الأمر، ليس المقصود من التيسير في الصلاة أن تُؤدّى على عَجَل، بحجة أن النبي ﷺ قال في رواية بأداء الصلاة براحة ويسر، لا يعني أن تُؤدّى في دقيقتين بحجّة النعاس أو الكسل. فالصلاة في حال السُّكر محرّمة أصلًا، ولا تجوز. بل متى وقف الإنسان للصلاة، وجب عليه أن يؤدّيها بحقّها، وهذا ما أكّد عليه النبي ﷺ.

كان النبي ﷺ يكره الشرك إلى درجة أنه في وقت وفاته، عندما كان يعاني من الاحتضار، كان يتقلب أحيانا يمينا وأخرى شمالا، ويقول: "لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا". (صحيح البخاري، كتاب الجنائز) يعني أنهم يسجدون على قبور الأنبياء ويدعونهم. وكان ﷺ يقصد أن أمته إذا فعلت بعده مثل هذا الفعل، فلا تظن أنها تستحق دعاءه، بل إنه سيتبرأ منها تمامًا. وكما ذكرت سابقًا بأن الله تعالى سيجعله شاهدا. والآن انظروا، في المدينة المنورة فرضت الحكومة قيودًا شديدة على قبره الشريف، ولهذا السبب لا تسمح لأحد بالسجود ولا حتى بالاقتراب، لكن في كثير من البلاد الإسلامية تُؤدى السجدات على أضرحة أصحاب الزوايا والمتصوفة، وتُطلب النذور من الأولياء. هذا الطريق هو الشرك الذي نهى عنه النبي ﷺ، وما دام النبي ﷺ نهى عن ذلك حتى لنفسه، فكيف يجوز أن يُسجد على قبر أي شيخ أو صوفي أو ولي بعده. إن من فضل الله تعالى أننا بإيماننا بحضرة المسيح الموعود عليه السلام قد نجونا من هذه الأمور، لكن علينا بكل حال أن نحقِّق معايير العبادات، أما عند الآخرين من المسلمين فهذا الشرك منتشر جدًّا. رحمهم الله تعالى وأعطاهم العقل والفهم ليكفوا عن هذا الشرك.

بلغ تواضع النبي ﷺ أمام الله تعالى حدًّا عظيمًا، حتى إن الناس عندما قالوا له: يا رسول الله، إنك ستنال فضل الله تعالى بقوة عملك، لأن الله تعالى قد أعطاك ضمانا وأثنى على أخلاقك وجعل أسوتك معيارًا للعمل بالنسبة للمسلمين، فهذا يعني أن أعمالك قد بلغت من المنزلة بحيث سيغفر الله لك أو قد غفر لك. فقال النبي ﷺ: لا لا، أنا أيضًا لن يُغفر لي إلا بإحسان الله. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قائلا: سمعتُ رسول الله ﷺ ذات يوم يقول: لَنْ يُدخل أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجنة، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفضل ورَحْمَةٍ. فهذا هو السبيل الوحيد. وهذا حديث رواه البخاري.

ثم قال ﷺ ناصحًا: تحروا السداد في أعمالكم، واطلبوا سبل القرب من الله تعالى، وقال: لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ ويستغفر لذنوبه. (صحيح البخاري، كتاب التمني) هذه نصيحة بالغة الأهمية يجب أن نتذكرها، وهي ألا نتمنى الموت أبدًا. وقد بين السبب في ذلك بقوله: إن كنتم تفعلون ذلك بسبب معاناة أو لِضُرٍّ، لأن الإنسان لا يتمنى الموت إلا لسبب، وإن كان لديكم بعض الحسنات فإن الله تعالى سيوفقكم لمزيد من الحسنات وسيجعل عاقبتكم خيرا لكم، وسيغفر لكم ذنوبكم، وإن كانت لديكم سيئات فستُوفَّقون للتوبة والاستغفار، لأنكم قد توجهتم إلى الموت، فسوف تتخلصون من السيئات، وستنالون قرب الله تعالى أيضًا، وعندما يحين الوقت سيعاملكم الله تعالى معاملة تتسبب في مغفرة ذنوبكم.

لقد رأينا مستوى العبادة التي كان النبي ﷺ عليها، وكان يوجه الآخرين أيضًا إليها. ورد في الرواية أنه ذات مرة ذهب ليلاً إلى بيت صهره علي وابنته فاطمة رضي الله عنهما، وسألهما: هل تصليان التهجد؟ فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، نحاول الصلاة، لكن عندما تغلبنا أعيننا بمشيئة الله تعالى، فإن التهجد يفوتنا.

فقال ﷺ: عليكما بصلاة التهجد، ثم انصرف وتوجه نحو بيته. وفي الطريق كان يردد: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا، (صحيح البخاري، كتاب الجمعة وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) أي أن الإنسان غالبًا ما يتجنب الاعتراف بخطئه ويحاول ستر تقصيره بشتى الحجج. فقد نصحهما النبي ﷺ في بيتهما كما ظل يردد هذا القول أثناء عودته كي ينقله الناس الآخرون إلى علي. لقد علّمهما درسًا بأنه بدلًا من أن يقولا بأننا أحيانًا نقصر فلا نستطيع النهوض، ألقيا الأمر على الله تعالى بقولهما: إِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، وإلا بقينا نائمين. فكان مقصده ﷺ: لماذا ينسب المرء خطأه إلى الله تعالى؟

وكما ذكرتُ سابقًا فإن النبي ﷺ لم يكن يحب التكلف أو التصنع في العبادة. فقد رأى ذات مرة حبالًا معلّقة في بيته، فنهى عنها وأمر بفك الحبال. كان مبدؤه أن القوى التي أودعها الله في الإنسان يجب استخدامها بطريقة صحيحة، وهذه هي العبادة الحقيقية. فإغلاق العين أو إزالتها مع وجودها ليس عبادةً بل هو تجاوز، إلا أن إساءة استخدام القوى إثم. وانظروا اليوم إلى كثير من أمور الدنيا ورغبات البشر والمغريات التي تجذبنا. فإذا توجهنا إليها وشاهدنا برامج سيئة أو أيَّ شيء غير لائق على التلفاز أو الإنترنت، فهذا إثم. قال ﷺ: الابتعاد عن هذا الإثم هو الأصل، وهو ما يكسبكم الثواب. وكذلك إغلاق الأذنين ليس برًّا. فقد أعطاك الله صلاحية، فلِمَ تغلقها؟ بل هذا تجاوز. أعطاك الله نعمة وأنت تُضيعها. إلا أن سماع الغيبة والنميمة إثم. هناك أناس كثيرون يغتابون ويستمعون للنميمة والأقاويل السيئة عن الآخرين، ويستمتعون بذلك ويضحكون على ضعف الناس وعيوبهم. هذه الأمور خاطئة وإثم، وقد نهى النبي ﷺ عنها. قال: الأخلاق الفاضلة هي الاستخدام السليم للقوى الطبيعية، وإماتتها حماقة، واستخدامها في الحرام رذيلة، واستخدامها الصحيح هو البر. هذا ملخص تعاليمه، وخلاصة حياة النبي ﷺ نفسه. ولهذا أمرنا الله تعالى أن نتخذه قدوة.

تقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في موضع عن أعمال النبي ﷺ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. (صحيح البخاري، كتاب المناقب) فكان ﷺ إذا وُجد طريقان، أحدهما سهل والآخر صعب، آثر الطريق السهل؛ لأن الله تعالى لا يريد أن يكلّف الإنسان مشقةً بلا سبب. غير أنه إذا وُجد أدنى شك في أن هذا الطريق الأسهل قد يفضي إلى إثم، كان يبتعد عنه كل الابتعاد ويختار الطريق الأصعب. بل يمكن القول إنه إذا وجد أدنى احتمال للاثم كان أبعد الناس عنه، إلى حدٍّ لا يستطيع أي إنسان أن يبذل مثل هذا الجهد في الابتعاد عنه. فكان يبتعد إلى هذا الحد.

انظروا كيف أن بعض الناس في الدنيا يتكبدون المشاق لخداع الآخرين، ويُعلنون صفاتهم العظيمة بحسب زعمهم قائلين: لقد جاهدنا وفعلنا كذا وكذا، حتى إن بعض المشايخ والمتنسكين أيضا يقولون مثل هذا الكلام ويذكرون قصصا كثيرة، لكن النبي ﷺ اختار السهولة واليسر، لأن الذين يتحدثون بهذه الطريقة

لإراءة الناس فقط إنما يُلقون بأنفسهم في المتاعب فقط إما لبيان عظمتهم أو لكي يمدحهم الناس، ولا يفعلون ذلك لوجه الله تعالى، لأن الله تعالى لا تهمُّه متاعبهم ومشاقهم هذه ولا يحصلون على أي ثواب نتيجتها لأنهم يفعلون كل ذلك لخداع الناس فحسب. وعندما يفعل الإنسان شيئا لخداع الآخرين، فإن الله تعالى يكتب له ذنبا بدلا من الثواب على هذه النية السيئة.

بعض الناس يدّعون ادعاءات كبيرة لإخفاء عيوبهم قائلين: لقد فعلنا هذا وفعلنا ذاك. فيحاولون ستر عيوبهم بطريقة أو بأخرى ويمدحون أنفسهم قائلين: لقد قمنا بهذا العمل على أعلى مستوى ولذلك وقعنا في مشقة كبيرة. وهكذا يدّعون ادعاءات كبيرة، لكن الله تعالى يقول: إن هذه الحسنات (المزعومة) لن تقربكم إلى الله تعالى، بل ستكون سببا لغضب الله تعالى لأن نيتكم ليست نزيهة. بل تقومون ببعض الأعمال لحماية أنفسكم واضعين في الحسبان أنكم إذا أظهرتموها للناس قد يقفون إلى جانبكم. إذن، لقد أعطانا النبي ﷺ هذه الدروس الصغيرة من خلال أسوته ومن خلال نصائحه أيضا.

فيما يتعلق بالمعاملات مع بني البشر، فلنبدأ بالحديث عن هذا الشأن من البيت. كيف كانت معاملته ﷺ مع زوجاته؟ كانت معاملته زاخرة باللطف والعدل. لو فهم الناس اليوم هذا الأمر لزالت كثير من الخصومات والفتن في البيوت. في بعض الأحيان كانت زوجاته ﷺ يتحدثن معه بقسوة، أي كنّ يتكلمن بغضب، لكنه ﷺ كان يتجاوز عن ذلك بصمت وبابتسامة.

ذات يوم قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ قَالَتْ قُلْتُ وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيم، فضحكت السيدة عائشة عندما سمعت هذا وصدّقت كلامه قائلة: لقد أصبتَ فيما فهمتَ.

ثم هناك أحداث تتعلق بالسيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت زوجته ﷺ الأولى والكبرى، والتي قدمت تضحيات كبيرة من أجله. بعد وفاتها تزوج ﷺ بزوجات شابات، لكن مع ذلك لم ينسَ ﷺ علاقته بالسيدة خديجة. عندما كانت تأتي صديقات السيدة خديجة كان النبي ﷺ يقف لاستقبالهن، وكلما رأى شيئا صنعته السيدة خديجة اغرورقت عيناه.

وفي أثناء غزوة بدر، أُسر أحد أصهاره[1] الذي لم يكن قد أسلم بعد، ولم يكن لديه مال لدفع فديةٍ لنوال الحرية. وعندما رأت زوجته، أي ابنة رسول الله ﷺ، أنه لا يوجد لفك أسر زوجها مال آخر، أرسلت إلى المدينة فدية لزوجها قلادة كانت آخر تذكار لها من والدتها. عندما عُرضت تلك القلادة على النبي الكريم ﷺ عرفها واغرورقت عيناه بالدموع. فقال للصحابة: لا آمركم بهذا لأنه ليس لي حق في إصدار مثل هذا الأمر، لكنني أعلم أن هذه القلادة هي آخر تذكار عند زينب من أمها. إذا استطعتم فعل ذلك عن طيب

---

[1] هو أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه

خواطركم، فإني أشفع ألا تُحرم البنت من آخر تذكار لها من أمها. قال الصحابة: يا رسول الله، ماذا عسى أن يكون أكثر سعادة لنا من فعْل ذلك؟ فأعادوا القلادة إلى السيدة زينب رضي الله عنها.

كان تأثير الخدمات التي قامت بها السيدة خديجة للنبي ﷺ عظيمًا لدرجة كان ﷺ كثيرا ما يذكرها لزوجاته الأخريات. وفي هذا السياق ذُكر حادث يوحي بأن بعض الغيرة يمكن أن تنشأ بين الزوجات، حتى لو كانت الزوجة قد توفيت ومع ذلك إن كثرة مدحها تثير الغيرة. ذات مرة عندما أثنى النبي ﷺ على السيدة خديجة أمام السيدة عائشة رضي الله عنهما، قالت السيدة عائشة: يا رسول الله، لماذا لا تفتأ تذكر تلك العجوز؟ دعها الآن واتركها، وقد أعطاك الله نساءً أفضل منها، شابات وجميلات. فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك، غلبت عليه الرقة وقال: يا عائشة، أنتِ لا تعلمين كم خدمتني خديجة.

كيف كان مستواه ﷺ في الأخلاق الفاضلة؟ عندما نفحص التاريخ نرى أن والده ﷺ توفي قبل ولادته ﷺ، وتوفيت والدته في طفولته. قضى ﷺ السنوات الثمانية الأولى في رعاية جده. بعد ذلك نشأ ﷺ في كفالة عمه أبي طالب الذي كانت معه صلة قرابة دموية، وكان والده قد أوصاه عند وفاته بحق النبي ﷺ بوجه خاص، لذلك كان أبو طالب يحبه ﷺ ويعتني به بشكل خاص، لكن لم تكن لدى عمّته ﷺ عواطف الرِفق ولا الشعور بالمسؤوليات العائلية. فكلما كان يأتي شيء إلى المنزل، كانت عمّته ﷺ في كثير من الأحيان تعطيه أولادها أولاً ولا تراعي رسول الله ﷺ الذي كان لا يزال طفلاً صغيرا. وعندما يعود أبو طالب إلى المنزل، فبدلاً من أن يجده ﷺ باكيًا أو شاكيًا- وهو ابن أخيه وكان لا يزال طفلا صغيرا -كان يرى أن أولاده يأكلون شيئًا، لكن هذا الطفل الصغير، ابن أخيه جالس جانبًا كجبل من الوقار. أي كان رسول الله ﷺ يتحمل كل شيء بصبر عظيم حتى في الطفولة. كان حب أبي طالب ومسؤولياته العائلية تمثل أمامه، فكان يهرع ويأخذ ابن أخيه في حضنه ويقول: اعتنوا بابني أيضًا، اعتنوا بابني أيضًا. كان هذا يحدث كثيرًا.

كتب سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في أحد المواضع ناقلاً رواية: لكن الذين شاهدوا ذلك يقولون إن رسول الله ﷺ لم يشتكِ، ولم يُظهر على وجهه كآبة قط، ولم يتذمر قط بسبب ذلك، ولم ينشأ لديه أي تنافس مع أبناء عمه قط. وإن أحداث حياته ﷺ تُوحي بجلاء كيف أخذ عليًّا و جعفر رضي الله عنهما تحت رعايته -حتى في الظروف المتغيرة لاحقًا- وكيف اتخذ كل التدابير لمصلحتهما.

انظروا اليوم مثلا، عندما يكبر الناس يتذكرون أحداث الطفولة ويأخذون الثأر، لكنه ﷺ أحسن المعاملة دائما. يحدث أحيانا أنه عندما يصل البعض إلى سن النضج والإدراك – بعد أن اضطروا للمكث عند أقاربهم، بمعنى أن البعض يفقدون آباءهم فيضطرون للإقامة عند الأقارب في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، أو يضطرون للإقامة عندهم بناء على اضطرار آخر، فإذا وقع عليهم ظلم من هؤلاء الأقارب فإنهم

لا ينسونه، وعندما تسنح لهم الفرصة ينتقمون من أقاربهم. لكن النبي ﷺ لم ينتقم قط، بل على النقيض من ذلك كلما سنحت له الفرصة أخذهم في حضن عطوفته وربّاهم وأعطاهم مكانة تليق بهم.

لاحظوا مثالا آخر على صبره ﷺ في سياق الأخلاق الفاضلة. ذات مرة فقدت امرأة ابنها وكانت تندب على قبره. فمر رسول الله ﷺ من هناك وقال: يا امرأة، اصبري فإن مشيئة الله غالبة على كل واحد. لم تكن المرأة تعرف رسول الله ﷺ فأجابت من فورها: لو مات ابنك كما مات ابني لعرفتَ معنى الصبر. فقال رسول الله ﷺ: لم يمت لي ابن واحد فقط، بل مات سبعة من أولادي. قال ﷺ ذلك وانصرف.

في مثل هذه المناسبات كان رسول الله ﷺ لا يذكر المصائب السابقة إلا بهذا القدر فقط، ولم يقل أكثر من ذلك قط، ولم يُقصّر في خدمة البشر أبدا بسبب أيّ حزن.

كان صبره ﷺ عظيما لدرجة أنه عندما أعطاه الله السيادة، كان يستمع لكل شخص. حتى لو أساء أحد القول فكان يصمت، ولا يرد على المسيء بالإساءة قط. وقد ورد في التاريخ أن المسلمين كانوا ينادون رسول الله ﷺ بذكر مكانته الروحانية بدلاً من اسمه، أي كانوا ينادونه: "يا رسول الله". أما أتباع الديانات الأخرى فكانوا يُظهرون له ﷺ احتراما بحسب عاداتهم وتقاليدهم فكانوا ينادونه بكنيته: "أبو القاسم" بدلاً من محمد، لأن اسم أحد أبنائه ﷺ كان "القاسم" وكان قد توفي. ذات مرة جاء يهودي إلى المدينة وبدأ يجادله ﷺ. وكان يكررّ أثناء المجادلة قوله: يا محمد، الأمر كذا، يا محمد، الأمر كذا. كان رسول الله ﷺ يجيب عليه دون أي انزعاج، لكن الصحابة كانوا منزعجين بسبب وقاحته. وأخيرًا لم يتحمل أحد الصحابة هذا الأمر وقال لليهودي: احذر، لا تتحدث بذكر اسمه، إن لم تستطع أن تقول "يا رسول الله" فقل على الأقل "يا أبا القاسم". قال اليهودي: سأناديه بالاسم الذي أطلقه عليه أبواه. ابتسم رسول الله ﷺ وقال للصحابة: لا بأس، ما يقوله صواب. إن أبواي أطلقا عليّ اسم "محمد"، فدعوه يناديني بالاسم الذي يريد ولا تغضبوا عليه.

كان ﷺ يتحلى بالصبر لدرجة أنه عندما كان يخرج لأمر ما، كان بعض الناس يقفون في طريقه أحيانا ويشرعون في سرد حاجاتهم. فكان ﷺ يقف لهم حتى ينتهوا من حديثهم، ثم يمضي. تكون عند بعض الناس عادة أنهم عند المصافحة يمسكون باليد طويلاً، فكان النبي ﷺ أيضا يمسك بأيديهم طويلاً. رغم أن هذه ليست طريقة محمودة، لكن رسول الله ﷺ ما كان يسحب يده من أيديهم قط. كان أصحاب الحاجات يعرضون حاجاتهم عليه ﷺ. عندما يعطي المحتاج شيئًا حسب حاجته، كان المحتاج يطلب المزيد مدفوعا بطمعه، فكان رسول الله ﷺ يلبي رغبته هذه أيضًا.

أحيانا كان الناس يُكثرون السؤال وكان يعطيهم كلما سألوا، وحين سأل مخلصٌ من هؤلاء السائلين في مثل هذا الوضع أعطاه بحسب طلبه ثم قال له لو توكلت على الله لكان خيرا لك، فقد سأله أحد الصحابة مالا بإلحاح مرات كثيرة لسد حاجاته، فأعطاه سؤله ثم قال له من الأفضل أن يتوكل المرء على الله، وكان

ذلك الصحابي مخلصا ومؤدبا أيضا فلم يردّ ما أخذه مراعاة للأدب، لكن للمستقبل قال يا رسول الله هذا كان آخر سؤال لي، فلن أسأل أحدا بعد اليوم مهما كان حالي.

وقد ورد عن ذلك الصحابي أنه كان في معركة وكان في وضع خطير حيث كان الجنود يستخدمون السيوف والسهام والرماح وكانت الرقاب تُقطع، وفي لحظة كان محاصَرا بالعدو سقط من يده سوطه، وكان جندي آخر من المشاة قريبا منه، فأراد أن يمسك السوط ويسلِّمه لصاحبه زعما منه أن القائد إذا ترجل من الحصان فقد يصيبه ضرر، لكن ذلك القائد حين رأى ذلك الجندي قال له يا أخي أستحلفك بالله لا تمسك السوط، ثم قفز من الحصان وأمسك سوطه، ثم قال لصاحبه كنتُ قد وعدتُ النبي ﷺ إني لن أسأل أحدا، فلو سمحتُ لك بحمل السوط لكان ذلك بلا شك سؤالا بلسان الحال وإن كنت لم أسألك صراحة، وبذلك أكون قد أخلفت وعدي، وصحيح أني في المعركة لكنني أفضِّل أن أنجز عملي شخصيا، ففي ذلك الوضع الحرج أيضا تذكَّر وعده.

فهناك أمور كثيرة من سيرة النبي ﷺ هي أسوة لنا كعدله واحترامه للمشاعر، والاعتناء بالفقراء، فقد كان حريصا على حفظ أموال الفقراء والإحسان إلى النساء كما قلت سابقا، أنه كان في البيت يحسن إلى زوجاته وإلى النساء عموما، فهناك جوانب كثيرة من أسوته ﷺ كمساعدته الناس والإحسان إلى الجيران والأقارب، وسعيه لحفظ أموال الناس، وستر عيوب الآخرين، وكيف كان ينصح بالتعاون المتبادل، وكيف كان يعمل به، كيف كان يغض الطرف عن العيوب، ويسترها، وماذا قال عن التمسك بالصدق واجتناب سوء الظن والتجسس، واليأس، وكيف كان يحسن إلى الحيوانات، وماذا قال عن التسامح الديني، فكل هذه الأمور أسوةٌ تامة لنا، وإن شاء الله سوف أتناولها في المستقبل كما قلت سابقا بحسب الأوضاع، والآن أنهي هذا البيان اليوم بقراءة مقتبس من كلام سيدنا المسيح الموعود ؏، فقد قال:

إن الإنسان الذي أبدى بذاته وصفاته وأفعاله وأعماله وبقواه الروحانية المقدسة- المتدفقة كالنهر- نموذجَ الكمال التام علما وعملا وصدقا وثباتا وسمي إنسانا كاملا هو النبي المبارك سيدنا خاتم الأنبياء، إمام الأصفياء، ختم المرسَلين فخر النبيين جناب محمد المصطفى ﷺ. فيا ربنا الحبيب أنزل على هذا النبي الحبيب رحمة وبركة لم تُنزلهما على أحد منذ بدء الخليقة.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لنسعى أن نكون مسلمين حقيقيين متأسين بأسوته ﷺ ونوصل رسالته هذه إلى العالم كله، لنتمكن من إحضار العالم أيضا تحت لوائه، وفقنا الله لذلك، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارِكْ وسلِّم إنك حميد مجيد.

بعد الصلاة سأصلي جنازة أيضا، فهل حضَرت الجنازة؟ فهي جنازة السيد لئيق أحمد طاهر الداعية الإسلامي الأحمدي في بريطانيا، فقد توفي قبل أيام عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين حولا، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان موصيا وخلَّف ابنة وثلاثة أبناء.

كان الأستاذ لئيق طاهر قد وُلد في بيت حضرة شيخ فضل أحمد البطالوي ﷺ من صحابة المسيح الموعود ﷺ في قاديان، وكان والد المرحوم قد بايع في عام ١٩٠٧، ووقف المرحوم حياته بعد الثانوية في ١٩٥٩ فسجل في الجامعة الأحمدية بربوة، وتخرَّج في ١٩٦٦، وخلال الدراسة في الجامعة الأحمدية نال شهادة الثانوية العليا و"أديب فاضل" و"عربي فاضل"، وبعد التخرج في الجامعة الأحمدية نال شهادة البكلوريوس من جامعة البنجاب.

في يوليو ١٩٦٧ أُرسلَ إلى إنجلترا لخدمة الجماعة بصفته داعيةً، وعمل هنا نائبا لإمام مسجد فضل بلندن، وعاد إلى باكستان في ١٩٧٠، وهناك عمل في شتى الأماكن في نظارة الإصلاح والإرشاد، ثم عُين في قسم التصنيف، وكان صهر مولانا عبد الحميد نورم، ثم عين أستاذا في الجامعة الأحمدية فدرَّس لمدة عشر سنوات تقريبا، وفي عام ١٩٨٢ عين نائبا لوكيل التبشير بربوة، وحين كان في الجامعة الأحمدية أو داعية في باكستان فقد خدم في المنظمات الفرعية كمجلس خدام الأحمدية، ثم في ١٩٨٦ أرسل داعية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وفي العام نفسه طلبه سيدنا الخليفة الرابع هنا وعينه داعية ومربيا في جلاسكو، وحين فُتحت الجامعة الأحمدية هناك في بريطانيا في ٢٠٠٥ عُين عميدا لها، ومدة خدمته ٥٩ عاما تقريبا.

يقول الأستاذ عطاء المجيب راشد إمام مسجد فضل لندن، إن المرحوم كان مخلصا للإسلام وخادما وفيا للخلافة ومؤديا مقتضيات وقف الحياة جيدا، وكان داعية ناجحا تماما، فقد وُفق لخدمة الدين بمنتهى الإخلاص مدة طويلة، كان يتغنى بالقرآن بأسلوب مؤثر، وكان يلفت إلى أمور التربية بأسلوب جذاب، حيثما عين للخدمة ترك ذكريات طيبة، فكان خادما محببا للدين كما كان يحب أبناء الجماعة، وفي مجال التأليف أيضا وُفق لخدمات عدة، وكان له اهتمام ملحوظ بالدعاء، فكان قد زيَّن جدران البيت وأبوابه بالأدعية، وكان يتحلى بخصال حميدة عدة.

يقول الأستاذ مبارك صِدّيقي، إني أعرف المرحوم من أيام ربوة فكان ظريفا ونفيسا، وكان لديه احترام كبير للخلافة ونظام الجماعة، وكان ينصح زواره أيضا بالطاعة الكاملة لخليفة الوقت، وكان في جيبه دوما دفتر صغير وحيثما رأى أو سمع من أحد —لا من أناس خواص فقط- أمرا طيبا سجله فيه على الفور، كان من عادته في أيام الدراسة الجلوس بصحبة صلحاء الجماعة الكبار، فكان قد حفظ كثيرا من كلام حضرة الحافظ مختار أحمد الشاهجهانبوري وكان يقصها على الحضور في مجلسه.

تقول ابنة المرحوم قرةُ العين، إن أبرز خصال والدي كان حرقته وتواضعه في الدعاء وتوكله على الله وكان يسأله ﷻ بدلال، وأحيانا كان يبدو أنه لن يبرح أعتابه ﷻ ما لم يتلق منه الجواب، وكانت معاملة الله ﷻ أيضا معه لطيفة حيث كان يكشف عليه أمورا كثيرة في الرؤى. وكان يقول لنا أيضا إن المسيح الموعود ﷺ قال إن السائل يجب أن يورد عليه الموت ويتضرع إلى الله كأنه مات، وإذا سألتم الله بهذه الحال فسوف يجيب. غفر الله له ورحمه، الجنازة موجودة هنا وبعد الجمعة سأخرج لأؤم صلاة الجنازة.

المرحوم الثاني الذي أريد أن أصلي عليه جنازة الغائب، هو السيد سيكا جالو الذي كان نائبا لرئيس الجماعة في إقليم سيغو بمالي، فقد توفي هو الآخر في الآونة الأخيرة، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان أيضا موصيا. يقول السيد تأثير الداعية الأحمدي، إن المرحوم كان قد وفق للانضمام إلى الجماعة الأحمدية بعد الاستماع إلى برنامج إذاعي في عام ٢٠١٦، ثم قطع أشواط التقدم على درب الإيمان، فكان أحمديا مخلصا ونشيطا جدا، كان سباقا في حضور برامج الجماعة والتبرعات، فكان يأتي المسجد من بعيد لأداء الفجر والمغرب والعشاء يوميا، وكان يكنّ علاقة الحب والاحترام الكبير للخلافة، في ٢٠١٨ انخرط في نظام الوصية، وحتى الوفاة كان يدفع تبرع الوصية من راتبه في بداية كل شهر، مرة لم يتلق الراتب لستة أشهر لسبب معين، فالأوضاع في أفريقيا هكذا ولم يستطع دفْع التبرعات وكان قلقا لأجل ذلك، ثم حين فرج الله عنه واستلم الراتب دفع منه تبرع الوصية والتبرعات الأخرى أولا، كان له زوجة وثلاثة أبناء وكان يبلغهم الدعوة، فانضم اثنان من أبنائه إلى الجماعة، لكن زوجته وابنٌ ثالث لم يقبلا الأحمدية، وكان يبدي القلق بشأن ذلك، كان إيمانه بالأحمدية قويا جدا، وكان رأيه عن غير الأحمديين والمشايخ واضحا حيث كان يقول إن هؤلاء لن ينجحوا ما لم يقبلوا المسيح والمهدي عليه السلام، فكان ينشر الدعوة ويخدم الجماعة بحماس وانتظام، غفر الله ورحمه.

*****